



المؤتمر العلمي للحسبة

انتِماء وَطَني وَأَمْنٌ فِكرِي

جامعة أم القرى 27-29 / 5 / 1439 هـ الموافق 13-15 / 2 / 2018 م

المحور الثالث

فهرسة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أبحاث المؤتمر العلمي للحسبة: إنتماء وطني وأمن فكري
/ المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مكة
المكرمة ١٤٣٩هـ
٥ مج
١- الحسبة. ٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أ. العنوان
ديوي ٢٥٧,٢ / ٤٢٥٧ / ١٤٣٩

رقم الإيداع: ٤٢٥٧ / ١٤٣٩

ردمك: ٥ - ٣٣ - ٨١٨٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٦ - ٣٦ - ٨١٨٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٣)

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

مُحْفَوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

لجامعة أم القرى



مطبعة جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة

هاتف/ ٢٥٥٠١٠٠٠ ٠٠٩٦٦

ص.ب / ٧١٥

موقعنا على الإنترنت

WWW.uqu.edu.sa



فهرس الموضوعات

| رقم الصفحة | اسم الباحث | الموضوع |
|------------|--|--|
| ٧ | الباحثة: د. إيمان عبد الرحمن محمود مغربي | الاحتساب في صدّ الشائعات ودوره في أمن المجتمعات (دراسة تطبيقية على ضوء الآية ٨٣ من سورة النساء) |
| ٤٩ | أ.د: عفاف بنت حسن بن محمد مختار الهاشمي | دور الحسبة في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري ومواجهته |
| ١٣٧ | د.حسن بن يحيى ظافر الشهري | دور الحسبة في وقاية المجتمع من الانحراف الفكري |
| ١٧٩ | د.بلال محمود أبووقوم | الحسبة ودورها في تحقيق الأمن النفسي والاجتماعي |
| ٢٥٥ | د. عاطف سيد عبد الجواد علي | الأمن الفكري وعلاقته بالذكاء الانفعالي واتخاذ القرار لدى طلبة الجامعة |
| ٣٣٧ | الدكتور محمد عبد الدايم علي سليمان محمد الجندي | سبل تعزيز التوافق الانفعالي وأنماط الوعي الفكري في الإسلام |
| ٣٧٩ | | نموذج السيرة الذاتية للباحثين |

الاحتساب في صدّ الشائعات ودوره في أمن المجتمعات
(دراسة تطبيقية على ضوء الآية ٨٣ من سورة النساء)

الباحثة: د. إيمان عبد الرحمن محمود مغربي
(أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة أمّ القرى)

موضوع البحث:

بيان الهدي الرباني في التعامل مع الشائعات على ضوء الآية الثالثة والثمانين من سورة النساء، وأهمية الاحتساب في صدّ الشائعات.

أهمية الموضوع:

عظم خطر الشائعات وزيادة انتشارها، خاصة في زمننا هذا، وما فيه من تقنيات جعلت البعيد قريباً.

أهم ما احتواه:

مقدمة، وفيها أهداف البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد، وتضمّن:

تعريف الاحتساب وأهميته.

تعريف الشائعة، وخطورتها وأهمية التصدي لها.

المبحث الأول، وفيه: البيان التحليلي للآية، وبيان غريبها، ومناسبتها لما قبلها، وتفسيرها الإجمالي.

المبحث الثاني، وفيه: آلية الاحتساب في صدّ الشائعات، وهي: عدم العجلة في نقل الأخبار، والاحتكام للكتاب والسنة، وأهمية الرجوع لأهل الحلّ والعقد.

أهم النتائج:

بلاغة القرآن وإعجازه، فأية واحدة حوت وتضمنت معان عدة في غاية الأهمية.



عدم نشر الشائعات التي يبيتها الأعداء في صفوف المسلمين، بل يجب رفع أمرها إلى القيادة الإسلامية؛ لتعرف لماذا يصدر الأعداء هذه الشائعات .

من أهمية الاحتساب: أنّه طوق نجاة في عصر التحديات، وسبيل إلى تحقيق الأمن بكل صورته، ومكافحة ما تفاقم في القنوات والشبكات من المخالفات الفكرية والأخلاقية.

الشائعة لغة: من شاع: إذا ذاع وانتشر، وفي الاصطلاح: خبر مهم لا يمتلك ناقلوه أدلة إثبات تحققه على أرض الواقع، يُشاع بين الناس بهدف التأثير على اتجاهاتهم الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية.

من أهداف الشائعات:

- طمس وإخفاء حقيقة شيء ما؛ مما يؤدي إلى تخلخل الأمن وبلبلة الأفكار.
- التقليل من هيبة العدو.
- تفتيت الروح المعنوية، وكسر قدرات الناس، وتوسيع هوة الانشقاق بين أبناء البلد الواحد.
- إشاعة روح الهزيمة والاستسلام .
- إضعاف روح الانتماء ونشر روح التبعية.

وردت ثلاثة أقوال في المراد بأولي الأمر: (١) الأمراء (٢) أمراء السرايا (٣) أهل العلم والفقه، والآية عامة تحتل جميع الأقوال، فإن كان الأمر فيما يختص بالدين يُرجع فيه للعلماء، وان كان سياسيًا محضًا يُرجع فيه لأهل السيادة والأمر.

جاءت الآية في سياق التوبيخ للمنافقين ولمن يقبل مثل تلك الإذاعة من أغرار



المسلمين، وقد انتظمت مع الآية التي قبلها بالأمر بتدبر القرآن للفت جماعات المنافقين والضالين إلى ما فاتهم من خير عظيم.

نزلت الآية في جماعة من المنافقين، ولكن حكمها عام ودائم في كل زمان ومكان. في الآيات توجيه وتربية قرآنية للمؤمنين، فلو تدبرنا هذا القرآن لصلحت أحوالنا في السلم والحرب، لو تدبرنا القرآن لما صدقنا الشائعات والأخبار الكاذبة التي يروجها إعلام العدو ليكسر بها نفوس المؤمنين وليصيبهم بالخذلان والذل والهزيمة النفسية، ليكون ذلك توطئة للهزيمة العسكرية.

النهى عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟

أهم التوصيات:

محاربة الفساد علانية، وهذا ما فعلته مملكتنا في نزاهة.

لفت الأنظار إلى ضرورة تحليل الأخبار والأقاويل قبل تصديقها ونشرها.

توجيه الإعلام وتطويره، واستحداث أجهزة في منظومته تعنى بالدفاع عن القضايا التي تهم الأمة وتظهر محاسن الدين.

ضرورة الاحتكام لشرع الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية:

شائعات، القرآن، الأمن، الخوف، إذاعة.



Abstract

Research Title:

Accountability in suppressing rumors and its role in attaining social security

(Applied study in light of verse 83 of Surat al-Nisa <)

Researcher: Dr Iman Abdel Rahman Mahmoud Maghrabi

(Professor of Interpretation and Koran Sciences allied with Umm al-Qura University)

Research topic:

The statement of the Lord's guidance in dealing with the rumors in light of the eighty-third verse of Surat al-Nasa, and the importance of accountability in suppressing rumors.

The importance of the topic:

The risk of rumors is increasing and spreading more and more, especially in our time, when technology brought distances closer.

The most important content:

1) Introduction, presenting the research objectives, methodology and plan.

2) Preface, including:

* Definition of accountability and its importance.

* Definition of rumor its seriousness and the importance of suppressing them.

3) The first chapter includes an analysis of the verse and its difficult



terms, and its relevance to the verse before it, and its total interpretation.

- 4) The second chapter which discusses accountability mechanism of suppressing rumors, namely: not rushing to transfer news, and resorting to Koran and Hadith as well as the importance of taking the advice of the worthy trusted leaders.

Main results:

- 1) The rhetoric of the Quran and its miracles, as only one verse included several meanings of great importance.
- 2) Not to spread the rumors broadcast by the enemies in the ranks of Muslims, rather alerting Islamic leaders to these rumors; to find out why the enemies issue these rumors.
- 3) The importance of accountability: It is a lifeline in the era of challenges, and a way to achieve security in all its forms, and to combat intellectual and moral violations which are exacerbated in channels and networks.
- 4) Rumor definition in language: disseminated lies, and in terminology: important news transferred by those who do not have proofs to verify it, rumored among the people to influence their intellectual, economic, social or psychological tendencies.
- 5) The objectives of rumors:
 - * Blur and conceal the truth of something, leading to insecurity and confusion of ideas.
 - * Minimize the prestige of the enemy.
 - * Fragmentation of morale, breaking people's capabilities and widening the chasm between the people of one country.



- * Spread the spirit of defeat and surrender.
 - * Weakening the spirit of belonging and spreading the spirit of dependency.
- 6) There are three statements in the meaning of rulers: 1) Princes 2) Brigade commanders 3) Scholars and theologians. The verse can generally bear all three meanings. If the matter concerns religion, it should be attributed to theologians and if purely political, it should be attributed to rulers.
 - 7) The verse came in the context of rebuke to the hypocrites and to those who accept such rumors among the inexperienced Muslims. Along with the previous verse, it orders Muslims to master the Koran to attract groups of hypocrites and misguided to what they missed of great good.
 - 8) The verse is about hypocrites, but its rule is general and permanent in every time and place.
 - 9) The verses include Quranic guidance and education of believers. If we followed Koran it will fix our life in peace and war and we would not believe the rumors and false news propagated by the enemy media to break the souls of the believers and make them suffer abandonment, humiliation and psychological defeat, as a prelude to military defeat.
 - 10) The prohibition of rushing to publish news the moment we hear them and the order of meditation before talking to consider if what we'll say is of benefit so we go on for it or not so we refrain from it.

Key Recommendations:

1. Fighting corruption openly, and this is what our Kingdom did in fairness.



2. Alert to the need to analyze news before believing and publishing them.
3. To guide and develop the media, and to develop authorities in its system to defend issues of interest to the nation and show the virtues of religion.
- 4 – The need to resort to the law of Allah and the guidance of His Messenger peace be upon him.

Keywords:

Rumors, Quran, security, fear, dissemination.



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله منزل القرآن، معلم الإنسان الحكمة والبيان، من أرسل إلينا خير ولد عدنان هاديًا ومبشرًا ونذيرًا للإنس والجان، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد فالحق تبارك وتعالى جعل الكتاب نبراسًا وهدى للعالمين، يرتشفون منه ما به قوام حياتهم وتحقيق تطلعاتهم ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٩]، وفي هذه الورقة العلمية أتناول جانبًا مهمًا نعيشه اليوم، وهو الشائعات ومعرفة الهدي الرباني في الاحتساب لصدّها؛ لما تسببه من إرجاف المسلمين وتقليل ثقتهم بقوتهم.

فالشائعات - كما هو معلوم - عظيم خطرهما، دقيق مسلكهما، تنتشر في المجتمع كانتشار النار في الهشيم، خاصة في زمننا هذا وما فيه من تقنيات جعلت البعيد قريبًا، والقاصي دانيًا، وقد نبه تعالى إلى طريقة التعامل معها في القرآن الكريم، وفي هذا البحث أسعى إلى بيان الهدي الرباني في التعامل مع الشائعات على ضوء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

أهداف البحث:

خدمة كتاب الله عزّ وجلّ وإبراز شيء من درره.

بيان خطورة الشائعات على المجتمع.

تسليط الضوء على الهدي الرباني لآلية الاحتساب لصد الشائعات.



خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وفيها أهداف البحث ومنهجه وخطته.

التمهيد: وفيه تعاريف لمصطلحات البحث:

أولاً: تعريف الاحتساب وأهميته.

ثانياً: تعريف الشائعات لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: وأثرها على المجتمع وأهمية التصدي لها.

المبحث الأول: البيان التحليلي للآية:

المطلب الأول: غريب الألفاظ.

المطلب الثاني: مناسبة الآية لما قبلها.

المطلب الثالث: تفسير الآية وبيان معناها الإجمالي.

المبحث الثاني: آلية الاحتساب في صدّ الشائعات:

المطلب الأول: عدم العجلة في نقل الأخبار.

المطلب الثاني: الاحتكام للكتاب والسنة.

المطلب الثالث: الرجوع لأهل الحل والعقد للتأكد من صحة الأخبار المتناقلة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.



منهج البحث:

- ذكر لمحة يسيرة عن سورة النساء وأهم مقاصدها.
- تحليل الآية -موضع البحث- لبيان معاني بعض المفردات.
- ذكر مناسبة الآية الكريمة للسياق قبلها.
- تفسير الآية تفسيرًا إجماليًا مع بيان سبب نزولها.
- استنباط هداية الآية القرآنية وبيان مراميها.
- توثيق الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن منعا لإثقال الحاشية.
- تخريج الأحاديث الواردة في ثنايا البحث من مصادرها.
- توثيق الأقوال الواردة ونسبتها لقائلها.
- تذييل البحث بخاتمة تشمل أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المصادر والمراجع.
- والله أسأل أن أوفق في صياغة هذا البحث، وإخراجه على الوجه الذي يرضيه سبحانه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

التمهيد:

لاشك أن الهدي الرباني في التعامل مع الشائعات قد أوضحته آيات عدة في الكتاب المجيد، إلا أنني أردت أن أتوقف مع ما بينه سبحانه في هذه الآية من سورة النساء، إذ وجدتها لامست حاجة مجتمعية ماسة، ما أحوجنا إليها اليوم؛ من حيث التسرع في نشر الأخبار دون اكتراث، فالإنسان بطبعه يسعى لكشف الأسرار،



ويستمتع بنقل الأخبار الغامضة المنشأ؛ انطلاقاً من شوقه الفطري إلى استقصاء المجهول، إضافة إلى ميله الشديد لتقبل الشائعات ونشرها، خصوصاً التي تروي فضوله، أو تُحدث دويًا، وتُرضي رغبته بتعميم الإثارة، علاوة على ما اتسم به زمننا، وهو كثرة وسائل التواصل وتداول المعلومات؛ فأصبح لكلِّ قدرةً على النشر دون مواجهة أي صعوبات في ذلك.

فجاءت هذه الآية تحذّر من تلقي الأخبار التي لا زمام لها ولا خطام، وتذمُّ نقلها، وتحذر من نشرها وإفشائها إلا بعد ردها لمن يملك معرفة صحتها، كما قال صلى الله عليه وسلم: [من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت] ^(١) وقال: «كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع» ^(٢).

فهذه الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة تحذر أشدّ التحذير من الشائعات المفسدة، والأراجيف الباطلة، والأخبار المختلقة؛ لئلا يكون المجتمع مباءة وموضعاً لتصديق الأكاذيب، وترويج البهتان والافتراءات التي تفتك بالمجتمع، وتزعزع استقراره وأمنه، وهذه التأكيدات بمثابة الوقاية وهي خير من العلاج.

كلُّ هذه التوجيهات القرآنية والتعاليم النبوية للمجتمع الأول مع قلة التواصل وبطئه، فكيف بهذا العصر الذي ازدادت فيه سرعة انتشار الشائعة بازدياد التقنية المستخدمة كوسيلة، وساعد الإعلام الحديث وسرعة الاتصالات على اعتماد الشائعات، وذلك بعد صياغتها بأشكال تتناسب مع بناء المجتمع، وردّة فعل أفراد ^(٣).

١ أخرج البخاري في صحيحه؛ كتاب: الأدب، باب: من كان يومٌ بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، [٦٠١٨]، (٨/

١١) عن أبي هريرة، مرفوعاً.

٢ أخرج مسلم في صحيحه؛ المقدمة، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع، (١/ ١٠) عن أبي هريرة، مرفوعاً.

٣ انظر: الدعاية والشائعات، عبد الرزاق الدليمي، (١٨٠-١٨١).



ولم تقف الشائعات عند حدّ، بل طالت الإسلام نفسه، إذ أُشيع أنه دين يدعو إلى الإرهاب والتطرف، وأنه أعظم خطر يواجه الثقافة الغربية.. إلخ؛ لذا أصبح لزامًا على أبناء الإسلام أن يُعوا خطورة مثل هذه الشائعات، وأن يحتسبوا لصدها وتفنيدها وإبطال مصداقيتها^(١)، فالاشتغال بنشرها يُعد سلوكًا منافيًا للأخلاق والآداب التي أوصانا بها الدين الحنيف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦]، لأن الإسلام يريد أن يعيش أبناءه في مجتمع إسلامي فاضل، يقوم على أساس قوي بعيدًا عن أي تيارات فكرية مناوئة، أيا كان مصدرها.

لذا جاء الهدي الرباني في العديد من آياته بآليات لتحصين أفراد المجتمع من الشائعات وتناقلها، والحدّ منها، بل والتصدي لها؛ حفاظًا على لحمة وقوة أفرادها، وإحكام بنيانه^(٢).

أولاً: تعريف الاحتساب وأهميته.

الاحتساب لغة:

أصل الحَسَب العَدُّ والمَعْدُود، والحَسَبُ والحَسْبُ قَدْرُ الشَّيْءِ، كقولك: الأجرُ بِحَسَبِ ما عَمِلْتَ وَحَسْبِهِ أَي قَدْرِهِ؛ والحِسَابُ: الكثير. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [سورة النبأ: ٣٦]. والحِسْبَةُ: مصدرُ احتسابك الأجر على الله، تقول: فَعَلْتَهُ حِسْبَةً، وَاحْتَسَبَ فِيهِ احْتِسَابًا؛ والاحتسابُ: طلب الأجر^(٣). وَفِي الْحَدِيثِ: [من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا]^(٤) أي: طلبًا لوجه الله تعالى وثوابه.

١ انظر: الشائعات وطرق مواجهتها، محمد حجاب، (٤١-٤٢).

٢ (انظر: الحرب النفسية والشائعات، معتز عبد الله، (٣٣٩-٣٤٢).

٣ انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١/ ٣١١، ٣١٣، ٣١٥).

٤ أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، [٣٨]، (١/ ١٦) عن أبي



وفي قول عُمر - رضي الله عنه -: «أَيُّهَا النَّاسُ، احْتَسِبُوا أَعْمَالَكُمْ، فَإِنَّ مَنْ احْتَسَبَ عَمَلَهُ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ وَأَجْرُ حِسْبَتِهِ»^(١). «ويجىء الاحتساب بمعنى الإنكار على شيء، والحسبة بمعنى التدبير»^(٢).

ب) الاحتساب اصطلاحًا:

«هو طلب الأجر من الله بالصبر على البلاء مطمئنة نفسه غير كارهة له»^(٣). والاحتساب والحسبة في الشرع هما الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله. يحرص عليهما المحتسب ويبادر طالبًا للثواب المرجو فيها^(٤).

ج) أهمية الاحتساب:

إنّ الاحتساب القطب الأعظم في الدين، والرسالة العظمى للأنبياء والمرسلين والصالحين، بل قد عدّه بعض أهل العلم ركنًا سادسًا من أركان الإسلام، وهو صمام الأمان وطوق النجاة والسبيل إلى تحقيق الأمن بكلّ صورته وأشكاله ومكافحة الجريمة على اختلاف أنواعها؛ ولذلك كانت حاجة الناس إليه ملحة؛ وضرورتهم إليه ماسة؛ فإن الطبيعة البشرية المتفردة المتغيرة في حاجة دائمة للاحتساب الذي هو دعوة متجددة إلى الخير، ونهي مستمر عن الشر؛ إذ كان الإنسان بطبيعته سريع التقلب، لا يستقر على حال؛ فهو يحتاج للاحتساب لأمر تتعلق بقلبه، وعقله، ونفسه، وطبعه.

وقد علّق الله تعالى خيرية الأمة بهذا الاحتساب، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

هريرة مرفوعًا.

- ١ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١/ ٣٨٢).
- ٢ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، (١/ ١٠٨).
- ٣ الكليات، الكفوي، ص ٥٧.
- ٤ انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، محمد الحميدي، ص ١٥٤، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، (١/ ١٠٨)، التعريفات الفقهية، محمد البركتي، ص ١٨. قلت: وقد لا يلزم من الأمر بالمعروف ظهور تركه! بل التذكير به والتحفيز عليه، بخلاف إنكار المنكر فيشترط ظهوره والله أعلم.



لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، بل جعله من أعظم أسباب النصر والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الحج: ٤١].

وفي إقامة الاحتساب تهيئة للمجتمع وحفاظ على المسلمين أفرادًا وجماعات، ونشر للأمن والأمان، خاصة في هذا العصر المليء بالتحديات والمتغيرات، مما يحتم علينا المزيد من الاحتساب على ما تضعج به القنوات الفضائية والشبكات المعلوماتية من تفاقم المخالفات العقدية والشرعية والفكرية والأخلاقية والسلوكية^(١).

هذا ولا ينسى المحتسب أنه في احتسابه يقوم بعبادة موصلة إلى محبة الله ورضوانه، وحصول السعادة في الدارين، وأنه باحتسابه يحسن الظنّ بربه، ويكمل إيمانه، ويحسن إسلامه^(٢).

ثانياً: تعريف الشائعات لغة واصطلاحاً:

الشائعة لغة: شاع الخبر يشيع شيوعاً وشيعاناً، وكل ذائع شائع^(٣)، شاع الخبرُ يَشِيْعُ شَيْعُوْعَةً، أي ذاع. وشاع الحديثُ، إذا ذاعَ وانتشر. وشائعٌ: انتشرَ وافترقَ وذاعَ وظهرَ. وأشاعه هوَ وأشاعَ ذَكَرَ الشْيءَ: أَطَارَهَ وَأَظْهَرَه. وَقَوْلُهُمْ: هَذَا خَبْرٌ شَائِعٌ وَقَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ، مَعْنَاهُ قَدْ انْتَصَلَ بِكُلِّ أَحَدٍ فَاسْتَوَى عِلْمُ النَّاسِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ. والشائعةُ: الأَخْبَارُ الْمُنْتَشِرَةُ^(٤).

١ انظر: الاحتساب والحاجة إليه ومنزلته في الأديان السابقة، محمد عثمان، مجلة البحوث الإسلامية، ع ١٧٤، ص ٣١٣، والقواعد والمقاصد الشرعية وأثرها في الأعمال الاحتسابية، عبد الرحمن السديس، ص ٢٦، ٣٠، ٣١.

٢ انظر: نضرة النعيم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن حميد، (٢/ ٦٦).

٣ جمهرة اللغة، محمد الأزدي، (٢/ ٨٧٢)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الفارابي، (٣/ ١٢٤٠)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/ ٢٣٥).

٤ لسان العرب، ابن منظور، (٨/ ١٩١).



اصطلاحًا: موضوع ذو أهمية ينتقل من شخص لشخص عن طريق الكلمة الشفهية^(١) دون ان يتطلب ذلك البرهان أو الدليل أو المصدر.

وقيل: ضغط اجتماعي مجهول المصدر يحيطه نوع من الغموض والإبهام ويحظى عادة باهتمام قطاعات عريضة من المجتمع^(٢).

ومن أشمل التعاريف التي وقفت عليها تعريف الحقباني حيث قال: «خبر مهم لا يمتلك ناقلوه أدلة إثبات تحققه على أرض الواقع يشاع بين الناس بهدف التأثير على اتجاهاتهم الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية»^(٣).

ثالثًا: أثر الشائعات على المجتمع وأهمية التصدي لها^(٤):

إنّ «الشائعات من أخطر الحروب المعنوية، والأوبئة النفسية، بل من أشد الأسلحة تدميرًا، وأعظمها وقعًا وتأثيرًا، وليس من المبالغة في شيء إذا عدت ظاهرة اجتماعية عالمية، لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، وأنها جديرة بالتشخيص والعلاج، وحرية بالتصدي والاهتمام لاستئصالها والتحذير منها، والتكاتف للقضاء على أسبابها وبواعثها، حتى لا تقضي على الروح المعنوية في الأمة التي هي عماد نجاح الأفراد، وأساس أمن واستقرار المجتمعات، وركيزة بناء أجداد الشعوب والحضارات»^(٥).

فالشائعة وباء خطير، يفتك بالفرد والأسرة والمجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور: ١٩].

- ١ قلت: ولعل في زمننا الحاضر انتشرت الشائعات وتجاوزت المشافهة ولا حول ولا قوة إلا بالله.
- ٢ انظر: علم النفس والشائعات، محمود السيد، (٩- ١٠)، الدعاية والشائعات، عبد الرزاق الدليمي، ص ١٨١.
- ٣ الآثار الاقتصادية المصاحبة لانتشار الشائعات، مفرح الحقباني، ص ١١٧.
- ٤ انظر: الدعاية والشائعات، عبد الرزاق الدليمي، (١٨٣-١٨٤)، الشائعات وطرق مواجهتها، محمد حجاب، (١٣٨-١٤٢)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، محمد الرازي، (١٠/١٥٣).
- ٥ الحرب النفسية والشائعات، معتز سيد، (١٨٨-١٩٢)، الشائعات وطرق مواجهتها، محمد حجاب، (١٠١-١٠٩).



ومن خطورة الشائعات: أنها مبنية على سوء الظن بالمسلمين، ومروجو الشائعات هم أشد إفسادًا واخلخله لبنيان المجتمع من إفساد الطفيليات للنبات، فكم تجنّوا على أبرياء، وكم نالوا من علماء وعظماء، وكم تسببت الشائعة في جرائم، وفككت من أواصر وعلاقات، وحطمت من أمجاد وحضارات، وكم دمرت من أسر وبيوتات، وأهلكت من حواضر ومجتمعات^(١).

ويتضح لنا أهمية الاحتساب لصدّ الشائعات إذا عرفنا أهدافها، فإليك طرفًا من هذه الأهداف:

- طمس وإخفاء حقيقة شيء ما؛ مما يؤدي إلى تخلخل الأمن وبلبلة الأفكار.
- التقليل من هيبة العدو.
- تفتيت الروح المعنوية وكسر قدرات الناس وتوسيع هوة الانشقاق بين أبناء البلد الواحد.
- إشاعة روح الهزيمة والاستسلام.
- إضعاف روح الانتماء ونشر روح التبعية.

ومما ذُكر تتضح أهمية دراسة الشائعات، وسبل الاحتساب في صدّها وفق المنهج الرباني، لما لهذه الشائعات من أثر كبير على المجتمعات؛ إذ لا يوجد مجتمع يسلم منها، فقد عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ، ومن ثم فهذه الدراسة تهدف إلى إبراز آلية للتعامل معها وصدّها من خلال الهدي القرآني؛ فالإسلام يحارب الأراجيف بكل سلاح يمكن معه دحضها، ولما كانت هذه أهداف الشائعات لزم على كل ذي لبّ أن يحتسب لصدّها.

١ انظر: المصدر نفسه.



والآية التي هي محلّ الدراسة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ ۗ وَكَوَّوْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٣].

وقبل الشروع في المبحث الأول المتعلق بالبيان التحليلي للآية أرى أن أقف مع القارئ في توطئة للحديث عن سورة النساء ومقاصدها.

توطئة:

سورة النساء مدنية^(١)، ووجه تسميتها بسورة النساء «أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم، ثم بأحكام تخصُّ النساء، وأن فيها أحكامًا كثيرة من أحكام النساء: الأزواج، والبنات، وختمت بأحكام تخص النساء»^(٢).

وقد افتتحت السورة بالتذكير بنعمة خلق الله للناس، وأن ذلك يوجب عليهم الشكر لربهم، ومن الشكر أن يؤديوا حقوق النوع الذي خلَقوا منه، فيصلوا أرحامهم القريبة والبعيدة، ويرعوا حقوق الضعفاء من اليتامى والنساء، وقد جاءت أكثر موضوعات السورة في تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم، كذلك تطرقت السورة إلى أحكام المعاملات بين جماعة المسلمين في الأموال والدماء، وتأصيل الحكم الشرعي بين المسلمين في الحقوق والدفاع عن المعتدى عليه، والأمر بإقامة العدل بدون مصانعة، والتحذير من اتباع الهوى، والأمر بالبر، والمواساة، وأداء الأمانات، والتمهيد لتحريم شرب الخمر. وطائفة من أحكام الصلاة، والطهارة، وصلاة الخوف. ثم أحوال اليهود، لكثرتهم بالمدينة، وأحوال المنافقين وفضائحهم، وأحكام الجهاد لدفع شوكة المشركين. وأحكام معاملة المشركين ومساويهم، ووجوب هجرة المؤمنين من مكة، وإبطال مآثر الجاهلية. وقد تخلل ذلك مواعظ، وترغيب، ونهي عن الحسد، وعن تمني

١ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢/ ٢٠٤).

٢ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤/ ٢١١).



ما للغير من المزايا التي حرم منها من حرم بحكم الشرع، أو بحكم الفطرة. والترغيب في التوسط في الخير والإصلاح. وبث المحبة بين المسلمين^(١).

ويمكن أن يقال: إنّ من مقاصد السورة: «تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، إزالةً لرواسب الجاهلية وتركيزًا على حقوق النساء والضعفاء»^(٢).

وقد جاءت هذه الآية - محل البحث - منتظمة مع مقاصد هذه السورة، إذ إنّ تطبيق هذا الأدب الذي ترشد إليه الآية يؤدي إلى تنظيم المجتمع المسلم وحفظ حقوقه الاجتماعية والمالية.

وأنّ أخذ أخبار الأمن؛ أو الخوف؛ بلا تثبت - وهي مخالفة للواقع - يجعل المؤمنين يظنون الأمن حال الخوف، فلا يأخذون حذرهم، والخوف حال الأمن فتضطرب أمورهم، وتختلّ أحوال اجتماعهم^(٣).

١ انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤/ ٢١٣ - ٢١٤).

٢ المختصر في تفسير القرآن، مركز تفسير.

٣ انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥/ ١٤٠).



المبحث الأول: البيان التحليلي للآيات:

المطلب الأول: غريب الألفاظ.

﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾: قيل: هم أمراء السرايا. وقيل: هم العلماء الفقهاء^(١)، واللفظ يشملهما فلكل منهما ولاية أمر.

﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾: فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: يعني النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني: القرآن. والثالث: اللطف والتوفيق، والأقوال جميعها ليس بينهما اختلاف تضاد فمن لطف الله تعالى وتوفيقه إرسال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وتأيدته بالقرآن.

قوله: ﴿لَاتَبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ «يعني لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم فإنه لم يكن يتبع الشيطان»^(٢).

﴿أَدَّعُوا بِهِ﴾: أفشوه^(٣) وسعوا به^(٤).

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: الرَّدُّ: صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، والمراد في قوله: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ﴿أي: فوضوه إليهم، يقال: رَدَدْتُ الحَكم في كذا إلى فلان: فوضته إليه^(٥).

﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ أي يستخرجونه، مأخوذ من استنباط الماء، ومنه سُمِّي النبط لاستنباطهم العيون. ونبطت البئر وأنبطتها إذا استخرجت ماءها. وكل شيء أظهرته بعد خفائه فقد أنبطته واستنبطته. واستنبطت من فلان علماً أو خبراً أو مالا إذا استخرجته منه. والنبطة: الماء المُسْتَخْرَج. والنبط: أول ما يظهر من ماء البئر إذا حفرتها. واستنبطت هذا الأمر إذا فكرت فيه فأظهرته^(٦).

١ تأويلات أهل السنة، أبو منصور المائثري، (٢٧٦/٣).

٢ النكت والعيون، الماوردي، (٥١١/١).

٣ معاني القرآن، الفراء، (٢٧٩/١).

٤ معاني القرآن، النحاس، (١٤١/٢).

٥ الكشاف، الزمخشري، (١١٧/٢).

٦ جمهرة اللغة، محمد الأزدي، (٣٦٢/١).



والاستنباط: اصطلاحًا: ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يَعْضُلُ وَيُهِمُّ^(١)، وقال النووي: «قال العلماء: الاستنباط استخراج ما خفي المراد به من اللفظ^(٢)، وكذا عرفه ابن القيم بقوله: «استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير مُسْتَنْبِطِهِ^(٣)».

المطلب الثاني : مناسبة الآية لما قبلها.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحُوفِ أَدَّعَوْا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٢-٨٣].

إن السياق لتوبيخ للمنافقين، واللوم لمن يقبل مثل تلك الإذاعة، من المسلمين الأغرار^(٤). هؤلاء الذين يقفون هذا الموقف المتخاذل من التكاليف التي تقتضي منهم بدلاً وتضحية، هم منافقون قولاً، كما هم منافقون عملاً.. ذلك أنهم كانوا يُظهرون في وقت النفير الجهاد، ثم ينكشف الأمر عن أنهم كانوا يدافعون الأيام بالتسويق والمماطلة، حتى تنتهي المعركة.

فجاء قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ إلفات لجماعات المنافقين والضالين إلى مافاتهم من خير عظيم، حين لم يقفوا عند آيات الله، ولم يتدبروها، وإنهم لو فعلوا ذلك، وأخلوا أنفسهم من تلك المشاعر الخبيثة المستولية عليهم، لرأوا وجه الحق سافراً في آيات الله وكلماته، ولأخذوا طريقهم إلى الله مستقيماً، فآمنوا بالله، وبرسوله، وبهذا الكتاب الذي أنزل على رسوله.

١ التعريفات، الجرجاني، ص ٢٢.

٢ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، (٤/ ١٥٨).

٣ إعلام الموقعين، لابن القيم، (١/ ١٧٢).

٤ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥/ ١٣٩).



فإن نظرة مخلصه إلى كتاب الله تعالى تصل العقول به، وتفتح القلوب له، لما فيه من أمارات مشرقة، تحدّث بأن هذا الكلام هو كلام الله^(١).

ثم عرض سبحانه وتعالى صورة هؤلاء المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ أي: إنهم لأصحاب ثرثرة ولغو، فهم يثرثرون بكل ما يسمعون من خير أو شر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ أي نطقوا به، وصحبوه معهم إلى كل مكان وكانوا وراء هذه الأحاديث المداعة، ويشهدون آثارها في الناس^(٢).

قال أبو بكر الكسائي: نزلت الآية في المنافقين؛ وذلك أن المنافقين إذا سمعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر عن نصر المسلمين أذاعوا إلى الأعداء بذلك ليستعدوا على ذلك، وإذا سمعوا أن الأعداء قد اجتمعوا وأعدوا للحرب أخبروا بذلك ضعفة أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليمنعوا عن الخروج إليهم؛ فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ [سورة النساء: ٨٣] حتى كان هو مخبرهم عن ذلك، أو ردّوا إلى أولي الأمر منهم؛ ليخبروا بذلك، والله أعلم^(٣).

وقيل: إن الذين عُنفوا بذلك ضعفة المسلمين، كانوا يسمعون من المنافقين أخبارًا غير صحيحة؛ فيفشونها؛ فعذلم الله على ذلك، وأمرهم برد ما سمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر فيعلمون صحة ما قيل من سقمه، ويعرفون كذبه من صحته^(٤).

وهذا يدل على أن هذا الفعل من صنع المنافقين والتحلي بصفاتهم، وفيه بث الإرجاف بين صفوف المسلمين.

١ انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٨٣/٢، التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، (٣) ٨٤٣-٨٤٥.

٢ التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب، (٣) ٨٤٦.

٣ انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي (٣/٢٧٦). ولا يزال هذا دأب المنافقين في كل مكان وزمان ولا يزال حرصهم على ترويب المؤمنين وإثارة الرعب في نفوسهم وعدم الحرص على تفوقهم ونجاحهم.

٤ الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (٢/١٣٩٩).



﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ [سورة النساء: ٨٣] قال الكلبي: يقول لو سكتوا عن إفشائه حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يُفشيهِ، وأولو الأمر منهم مثل أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ﴾ [سورة النساء: ٨٣] يقول: يتغونه مِنْهُمْ، فيكون هؤلاء الذين يستمعونه ويفشونه ويعلمونه إلا قليلاً منهم...»^(١).

قال ابن عطية: فإن عرضت لأحد شبهة وظنّ اختلافًا في شيء من كتاب الله، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل من هو أعلم منه^(٢).

في الآيات توجيه وتربية قرآنية للمؤمنين، فلو تدبرنا هذا القرآن لصلحت أحوالنا في السلم والحرب، لو تدبرنا القرآن لما صدقنا الشائعات والأخبار الكاذبة التي يروجها إعلام العدو؛ ليكسر بها نفوس المؤمنين، وليصيبهم بالخذلان والذلّ والهزيمة النفسية، ليكون ذلك توطئة للهزيمة العسكرية، ومع هذا نحن نتلقف هذه الأخبار ونرددها في المجالس وكأنها أخبار قد نزلت من فوق سبع سماوات، لو عملنا بالهدى الرباني لعلمنا كيف لنا ألا نتناقل الأخبار المثبطة للعزائم، المهونة للقوى، ولتركنا الأمر لأهله من أولي الأمر والحل والعقد.

المطلب الثالث: تفسير الآية وبيان معناها الإجمالي.

إن «هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين، وضعفة من المسلمين؛ كانوا إذا أعلم النبي عليه السلام أنه ظاهر على قوم، أو إذا تجمع قوم يخاف من جمع مثلهم -أذاع ذلك المنافقون؛ ليحذر من يحبون أن يحذر من الكفار، وليقوى قلب من يحبون أن يقوى قلبه، وكان ضعفة المسلمين يشيعون ذلك معهم من غير علم منهم بالضرر في ذلك؛ فقال الله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٨٣]

١ بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (٣٢١/١).

٢ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٨٣/٢).



الآية..»^(١). وهؤلاء المشيعون للأمر «تختلف نياتهم، فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لأجل الضرر، وضعيف الإيمان قد يذيع استشفاءً مما في صدره من الإحن والبغضاء، وغيرهما قد يذيع رغبة في كشف الأسرار وابتلاء الأخبار، وهذا أمر معتاد بين الناس وهو كثير الضرر إذا شُغِلوا به عن أعمالهم، وضرره أكثر إذا أذاعوه وعلمه جواسيس العدو، لما يكون لذلك من العواقب الوخيمة على الأمة، ومثل ذلك سائر الأمور السياسية والشؤون العامة التي لا ينبغي أن تعدو الخاصة وتصل إلى العامة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾ [سورة النساء: ٨٣]. أي: إن هؤلاء الضعفة من المسلمين الذين لا خبرة لهم بالشؤون العامة قد بلغ من طيشهم وخفة أحلامهم أنّ كلّ خير يصل إليهم يستفزّهم ويطلق ألسنتهم بالكلام فيه وإذاعته بين الناس، سواء أكان من ناحية الجيش الذي يغزو ويقاتل العدو، أو من ناحية المركز العام للسلطة، ولا ينبغي أن تُشيع العامة أخبار الحرب وأسرارها، ولا أن تخوض في السياسة العامة للدولة؛ لأن ذلك مضرة لها، ومفسدة لشؤونها ومرافقها العامة وعلاقتها مع غيرها من الأمم، إلى أن في ذلك مشغلة لهم عن شؤونهم الخاصة، وضياح زمن كانوا فيه أحوج إلى العمل بما يفيدهم ويفيد الأمة»^(٢).

وقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ﴾ [سورة النساء: ٨٣] «من القواد وكبار الصحابة لوجدوا عندهم العلم الحقيقي بالأمر، لأن لهم الخبرة والدراية، وهم الذين يعرفون كيف يستخرجون خفايا الحقائق بدقة نظرهم.

هذا من جهة سبب نزول الآية، أما حُكمها فإنه عام لجميع المسلمين ودائم في كل زمان ومكان. وفيها تأديب لكل من يحدث بكل ما يسمع، وكفى بذلك كذبًا. كما روى مسلم عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال: [كفى بالمرء كذبًا أن

١ تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمِين، (١/٣٩١).

٢ تفسير المراغي، المراغي، (١٠٥/٥).



يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).^(٢)

وفي تفسير الآية يقول السعدي: «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرتة تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨٣] أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [سورة النساء: ٨٣]، أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، ﴿لَا تَبِعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٣]، لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووقفه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم»^(٣).

١ أخرجه مسلم في صحيحه؛ المقدمة؛ باب: النهي عن الحديث بكل ماسم، (١ / ١٠) عن أبي هريرة، مرفوعًا.

٢ تيسير التفسير، القطان، (١ / ٣١٩)، بتزيم الشاملة (آليا).

٣ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٩٠، وانظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (١ / ٣٢١).



المبحث الثاني: آلية الاحتساب في صدّ الشائعات:

المطلب الأول : عدم العجلة في نقل الأخبار .

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ﴾ فالآية عتاب للمؤمنين في هذا التسرع بالإذاعة^(١)، لذا حذر سبحانه فيها المؤمنين من مكائد هؤلاء الذين بادروا بإذاعة الأمر، أو إذا سمعوا خبراً عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعن أصحابه - رضوان الله عليهم - في تدبير أحوال المسلمين، من أحوال الأمن أو الخوف؛ تحدثوا بتلك الأخبار في الحالين، وأرجفوها بين الناس لقصد التشييط عن الاستعداد، ونبه على دخيلتهم، وقطع معذرتهم في كيدهم، فلولا أنهم يقصدون السوء لاستثبتوا الخبر من الرسول ص ومن أهل الرأي. قيل لأبي مسعود - رضي الله عنه: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في «زعموا»؟ قال: سمعته يقول: «بئس مطية الرجل»^(٢)، وفيه إشارة إلى كراهية حكاية ما يزحف من الأخبار^(٣).

فهذه الآية بينت النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان أم لا؛ فيحجم عنه^(٤).

فلعل كلمة عابرة وفتلة لسان، قد تجر من العواقب على الشخص ذاته، وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال وما لا يتدرك بعد وقوعه بحال سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف..

فإشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو

١ على القول بأن الضمير راجع للمؤمنين.

٢ الأدب المفرد مخرجا، البخاري، ص ٢٦٨، قال الألباني : صحيح .

٣ الآداب، البيهقي، ص ١٣٣.

٤ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٩٠، وانظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (١/٣٢١).



تحدث نوعاً من التراخي - مهما تكن الأوامر باليقظة-(^١).

لذا كانت العجلة والاستخفاف من خوارم الحكمة، و التأيي والتثبت من دعائمها، وقد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْفِقُونَ﴾ [سورة الروم: ٦٠]، وفي آية الحجرات بعد أن أمر الله بالتبيين، قال في الآية التي بعدها: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٧]. أي: لو أن الرسول صلى الله عليه وسلم استجاب لما يريدون دون تثبت ولا روية لأصابهم العنت والمشقة، الحسية والمعنوية، وهذا مما يخالف الحكمة ومقاصدها.

والذي يمعن النظر في كثير من الأحداث المعاصرة، يدرك أن من أبرز أسباب آثارها السلبية: العجلة وعدم التثبت.

ولقد أدرك الأعداء هذه الثغرة، فكثروا من الإشاعات والأراجيف، وتلقاها كثير من المسلمين بدون روية ولا تبصر، ولم يلتزموا المنهج الرباني، بالتثبت ورد الأمر إلى أهله، كما أمر الله تعالى في آية النساء- محل البحث- ولهذا فقدنا الحكمة في كثير من الأحداث التي مرت بالمسلمين، فجاءت النتائج كما نرى(^٢).

وهذه الخلخلة هي التي كان يعالجها القرآن بمنهجه الرباني، وأمرهم بإنهاء الأخبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقادة الصحابة ليضعوه مواضعه ويعلموهم محامله(^٣).

١ في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ٧٢٣).

٢ الحكمة، ناصر العمر (٧٠ - ٧١، بتقييم الشاملة آليا).

٣ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥/ ١٤٠).



المطلب الثاني: الاحتكام للكتاب والسنة.

في الآية ٨٣ من سورة النساء يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ وذلك إشارة إلى الاحتكام إليه وإلى ما أوحى إليه، «والمراد من الاحتكام هو رُدُّ الشَّيْءِ الْمُتَنَازِعِ فِيهِ، أَوِ الَّذِي لَا يُعْلَمُ صَحْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بِعَرَضِهِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»^(١).

ولذلك أمر الله تعالى بردّ الأمر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه الآية، كما جاء الأمر كذلك في نفس السورة بطاعة الله وطاعة الرسول، وردّ الأمور عند التنازع إلى الله ورسوله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، أو ردوا الشيء المتنازع فيه إلى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فإن المؤمن لا يؤثر على حكم الله شيئاً، والمؤمن باليوم الآخر يهتم بجزء الآخرة أشدّ من اهتمامه بحفظ الدنيا، فلو كان له هوى في المسألة المتنازع فيها فإنه يتركه لحكم الله ابتغاء مرضاته ومثوبته في اليوم الآخر، وفيه تعريض أو دليل على أن من لا يؤثر اتباع الكتاب والسنة على أهوائه وحفظه ولا سيما في مسائل المصالح العامة فيه لا يكون مؤمناً بالله واليوم الآخر إيماناً يُعتد به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ هذا بيان لفائدة هذه الأحكام أو هذا الرد في الدنيا بعد بيان فائدته في الآخرة، كما هو اللائق بدين الفطرة الجامع بين مصالح الدارين، أي: ذلك الذي شرعناه لكم في تأسيس حكومتكم، وإصلاح أمركم، أو ذلك الردّ للشيء المتنازع فيه إلى الله ورسوله خير لكم في نفسه؛ لأنه أقوى أساس لحكومتكم، والله أعلم منكم بما هو خير لكم، فلم يشرع لكم في كتابه وعلى لسان

١ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (١٥٦/٥).

رسوله من الأصول والقواعد إلا ما هو قيام لمصالحكم ومنافعكم، وهو على كونه خيراً في نفسه ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: مآلاً وعاقبة؛ لأنه يقطع عرق التنازع، ويسد ذرائع الفتن والمفاسد^(١).

وقوله في الآية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٣]، أي: ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإنزال الكتاب لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ، وبقيتم على الكفر والضلالة، إلا قليلاً منكم قد تفضّل عليه بعقل راجح؛ اهتدى به إلى طريق الحق والصواب، وعصمه من متابعة الشيطان^(٢).

فإن كان الغموض يحيط بالشائعة ويكتنفها الظلام فإنّ القرآن والسنة فيهما النور الذي يجلي ذلك الظلام، ويبدد ذلك الغموض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض]^(٣).

وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إنّ الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال]^(٤)، وفيه تنبيه مهم؛ فقوله:

«وأن تعصموا بالله بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» فيه وجوب الاعتصام بحبل الله، والمراد: الكتاب والسنة، ولا سيما في مثل هذه الأيام، والنهي عن التفرّق والاختلاف، الذي هو سبب الفشل، ولا شك أن القوة في الاعتصام والاجتماع، والضعف لا شك أنه في التفرّق، وقوله: «ويكره لكم» والكراهية أعم من أن تكون كراهية

١ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (١٥٦/٥).

٢ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٢٠٨/٢).

٣ أخرجه الحاكم في المستدرک؛ كتاب العلم، [٣١٩]، (١/١٧٢) عن أبي هريرة مرفوعاً.

٤ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأفضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب مالا يستحقه، [١٧١٥]، (٣/١٣٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً.



اصطلاحية أو شرعية؛ لأن فيها محرمات.

«قيل وقال» يدخل فيها الشائعات التي لا تستند إلى حقائق، شائعات ممرضة مقلقة، تبعث على اليأس، وعلى الخمول، وهذا مكروه عند الله -جلّ وعلا-، فعلى الإنسان أن يحفظ نفسه من هذه الأمور، وهذه التصرفات، فكم من مصيبة، وكم من مشكلة أورتتها هذه القنوات، والشائعات التي لا تستند إلى أصل لا تفيد العلم، إنما ضررها محقق، ونفعها مظنون إن وجد^(١).

المطلب الثالث : الرجوع لأهل الحل والعقد للتأكد من صحة الأخبار المتناقلة.

يقول تعالى: ﴿.. أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

اختلف المفسرون في المراد بأولي الأمر المذكورين في الآية على أقوال:

أحدها: ذوي العلم والرأي منهم، ورد عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبي العالية^(٢).

والثاني: أمراء السرايا: ورد عن ابن زيد و السدي^(٣)، لأن أولي الأمر الذين لهم أمر على الناس، وأهل العلم ليسوا كذلك.

الثالث: هُم أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤)، مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم^(٥).

وبالنظر في هذه الأقوال نجد أن القول الثالث لا ينفك عن القولين الأول والثاني؛ فالصحابا أهل علم ودراية والمذكورين زادوا بأنهم أمراء، فأصحاب محمد صلى الله

١ انظر: شرح جوامع الأخبار، عبد الكريم الحضير، (١٠/٦-٧، بترقيم الشاملة آليا).

٢ جامع البيان، الطبري، (١٨١/٧)، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (١٠١٥/٣)، النكت والعيون، الماوردي (٥١١/١).

٣ تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، (١٠١٥/٣)، النكت والعيون، الماوردي، (٥١١/١).

٤ جامع البيان، الطبري، (١٨١/٧).

٥ تأويلات أهل السنة، أبو منصور المائريدي، (٢٧٦/٣).



عليه وسلم المقصود بهم الخلفاء الأربعة، فهم ساسة ورجال دين، وأفقه أهل زمانهم، والأمر موكل لهم في سياسة البلاد وقيادة دفتها، فأصحاب الأمر هم أهله ساسة كانوا أو علماء.

وعليه فأبي القولين أرجح؟ أهم العلماء أم الأمراء؟

معلوم أن المجتمع يقوم أساسه وبنائه على المقومات السياسية والاجتماعية، ففي الوقت الذي لا غنى لنا عن أهل العلم في أمور الدين نحتاج قوة الأمير والسلطان، فكما أن العالم يفتي في أمور الدين فالأمير أو الوالي يفتي في السياسة، وخاصة في هذا الزمان مع تنوع وتعدد وتتابع الشائعات، ومنها ما يكون في أمور الدين أو الدنيا؛ لذا فالآية عامة تحتل جميع الأقوال؛ -وإن كان لفظ أمير يستعمل للولاة غالباً- فلا يقول أحد بأن المراد من الآية لا يشمل العلماء، يقول القاسمي: «وقوله: ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ العلماء ليس قولاً ثانياً في الآية، بل هو مما يشمله لفظها. فهي عامة في أولي الأمر من الأمراء والعلماء، وإن نزلت على سبب خاص. وقد كثرت الأوامر بطاعة العلماء كالأمراء، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۗ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة: 63]، وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني»^(١).

ولا شك في أن العلماء إذا كانوا عاملين بأوامر الله ونواهيها، وكان يجب على غيرهم قبول قولهم لم يبعد أن يسموا أولي الأمر من هذا الوجه، والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۗ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا

١ أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، [٧١٣٧]، (٩/ ٦١) عن أبي هريرة، مرفوعاً.



فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾ [سورة التوبة: ١٢٢] (١).

ومعلوم أنهم هم الذين يرجع إليهم في بيان أمور الدين، وعن آرائهم يصدر، فجعل قال تعالى: ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ مَنْ عندهم علم الاستنباط، وشهد لهم بالعلم فيما رُذِّ إليهم؛ فثبت أنهم الفقهاء المعروفون بالاستنباط ورعاية أمور الدين.

ثم كانت الشهادات والأمر والنهي للعلماء بهما؛ ثبت أن الأمر في ذلك ينصرف إلى العلماء، وأنهم إذا اجتمعوا على شيء بالأمر أو بالنهي، يكون إجماعاً؛ لأن ذلك كذلك عند الله تعالى، وتجاوز شهادتهم على جميع العوام ومن تأخرهم، ومن ذلك في الأمور (٢).

ومع ذلك كله مما للعلماء من مكانة وأهمية لا بد أن نذكر أن مَسَائِلَ الْأَمْنِ وَالْحَوْفِ، وَمَا يَصْلُحُ لِلْأُمَّةِ فِي زَمَنِ الْحَرْبِ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَحْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَعْرِفَةُ أُصُولِ الْفِقْهِ وَقُرُوعِهِ، بل نحتاج فيه إلى حنكة القائد الأمير، الذي بيده السلطة ومعرفة أصول السياسة والكياسة (٣). وهؤلاء هم المذكورون في قوله: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ [سورة النساء: ٨٣].

قال الكلبي: يقول لو سكتوا عن إفشائه حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يفشيه، وأولو الأمر منهم، مثل: أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ [سورة النساء: ٨٣] يقول: يتتغونه منهم، فيكون هؤلاء الذين يستمعونه ويفشونه ويعلمونه إلا قليلاً منهم... (٤).

قال ابن عطية: فإن عُرضت لأحد شبهة وظن اختلافاً في شيء من كتاب الله،

١ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (١٠ / ١٥٣).

٢ تأويلات أهل السنة، أبو منصور المائريدي، (٣ / ٢٣١).

٣ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (٥ / ١٥٦).

٤ بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (١ / ٣٢١).



فالواجب أن يتهم نظره ويسأل من هو أعلم منه^(١).

لذا ليس لفرد من الأفراد أن يستقل ببيان صحة الأخبار المتناقلة، وإنما يُرَدُّ هذا الأمر إلى أولي الأمر من الأمة، وهم أصحاب الرأي والشأن فيها والعلم بمصالحها، عملاً بقوله تعالى في مثله من الأمور العامة^(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

فإذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم؛ فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ^(٣). ومن جميل ما قاله المفسرون عن هذه الآية ما ذكره الرازي في تفسيره لها: قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨٣] صفة لأولي الأمر، وقد أوجب الله تعالى على الذين يجيئهم أمر من الأمن أو الخوف أن يرجعوا في معرفته إليهم، لأن الله أمر المكلف بردّ الواقعة إلى من يستنبط الحكم فيها^(٤).
فالآية دالة على أمور:

أحدها: أنّ في أحكام الحوادث ما لا يُعرف بالتّصّ بل بالاستنباط.

وثانيها: أنّ العامي يجب عليه تقليد العلماء في أحكام الحوادث^(٥).

ولعل ذلك كله يؤيد القول بأن أولي الأمر يشمل العلماء والأمرء؛ وذلك أن الأمر إن كان فيما يختص بالدين فهذا يرجع فيه للعلماء، وإن كان سياسياً محضاً فلا بدّ من الرجوع فيه لأهل السيادة والأمر.

ثم لماذا يجب الرّدُّ لهؤلاء علماء كانوا أو أمراء؟

١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٨٣/٢).

٢ مجلة الرسالة، (٢٠٠ / ٣٢٣)، بتقييم الشاملة (أب).

٣ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٩٠، وانظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (٣٢١/١).

٤ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، (١٠٠ / ١٥٩).

٥ المصدر السابق.



أولاً: لأنهم الأجدر على استنباط صحة ومصداقية الخبر، فقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨٣] أي ولو أن أولئك المذيعين فوضوا الكلام في الأمور العامة إلى الرسول وهو الإمام الأعظم والقائد العام في الحرب، وإلى أولي الأمر من أهل الحل والعقد ورجال الشورى، لوجدوا علم ذلك عندهم، لأنهم هم الذين يستنبطون مثله، ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم، إذ لكل طائفة منهم استعداد للإحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الأمة دون بعض»^(١).

وثانياً: لأنهم يعلمون ما ينبغي أن يُفشى وما ينبغي أن يُكتم^(٢)؛ وعليه فإن العامة لا ينبغي لها الخوض في ذلك، بل عليها أن تردّه إلى من يتولى أمر استنباطه وإقناع الآخرين به؛ لأنهم يعلمون هل ينبغي إذاعته أو لا يذاع^(٣).

ولأهمية هذا الأمر وعملاً بمقتضى هذا الهدي جاءت أنظمة البلاد شرفها لله وحرس حكامها وسددهم، فقد صدر الأمر السامي من ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد الله رحمه الله عام ١٤٣١هـ بتنظيم الفتوى، وقصرها على هيئة كبار العلماء؛ حتى لا يتحدث كل ناعق بما لا يفقه، علاوة على ما في ذلك من تحديد الجهة التي يرجع إليها السائل، وقصرها على أهل العلم، ومنعاً لتناقل معلومات مغلوطة أو غير موثوق منها، والذي جاء فيه: «ولا شك أنّ للاحتساب الصادق جادة يعلمها الجميع، خاصة وأنّ الذمة تبرأ برفع محل الاحتساب إلى جهته المختصة، وهي بكفاءة رجالها وغيرتهم على الدين والوطن محل ثقة الجميع، لتتولى أمره بما يجب عليها من مسئولية شرعية ونظامية»^(٤).

١ تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى، (١٠٥/٥)، في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢/ ٧٢٤).

٢ انظر: معاني القرآن للزجاج (٨٣/٢)، فتح القدير، الشوكاني ()، فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، (٣/١٨٧).

٣ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (٥/ ١٥٦).

٤ الملك يقف بحزم ضد فوضى الفتاوى ويأمر بالمؤسسية، وكالة الأنباء السعودية،



الخاتمة

أختم بحمد الله عزّ وجلّ على ما يسّر وأعان على إعداد هذا البحث؛ وأخلص إلى عدد من النتائج؛ وهي:

بلاغة القرآن واعجازه فأية واحدة حوت وتضمنت معان عدة في غاية الأهمية. عدم نشر الشائعات التي ييئها الأعداء في صفوف المسلمين بل يجب رفع أمرها إلى القيادة الإسلامية لتعرف لماذا يصدر الأعداء هذه الشائعات. من أهمية الاحتساب: أنه طوق نجاة في عصر التحديات، وسبيل إلى تحقيق الأمن بكل صوره، ومكافحة ما تفاقم في القنوات والشبكات من المخالفات الفكرية والأخلاقية.

الشائعة لغة: من شاع: إذا ذاع وانتشر، وفي الاصطلاح: خبر مهم لا يمتلك ناقلوه أدلة إثبات تحققه على أرض الواقع، يُشاع بين الناس بهدف التأثير على اتجاهاتهم الفكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو النفسية.

من أهداف الشائعات:

- طمس وإخفاء حقيقة شيء ما؛ مما يؤدي إلى تخلخل الأمن وبلبله الأفكار.
- التقليل من هيبة العدو.
- تفتيت الروح المعنوية، وكسر قدرات الناس، وتوسيع هوة الانشقاق بين أبناء البلد الواحد.
- إشاعة روح الهزيمة والاستسلام.
- إضعاف روح الانتماء ونشر روح التبعية.



وردت ثلاثة أقوال في المراد بأولي الأمر: (١) الأمراء (٢) أمراء السرايا (٣) أهل العلم والفقه، والآية عامة تحتل جميع الأقوال، فإن كان الأمر فيما يختص بالدين يُرجع فيه للعلماء، وإن كان سياسياً محضاً يُرجع فيه لأهل السيادة والأمر.

جاءت الآية في سياق التوبيخ للمنافقين ولمن يقبل مثل تلك الإذاعة من أغرار المسلمين، وقد انتظمت مع الآية التي قبلها بالأمر بتدبر القرآن للفت جماعات المنافقين والضالين إلى ما فاتهم من خير عظيم.

نزلت الآية في جماعة من المنافقين، ولكن حكمها عام ودائم في كل زمان ومكان.

في الآيات توجيه وتربية قرآنية للمؤمنين، فلو تدبرنا هذا القرآن لصلحت أحوالنا في السلم والحرب، لو تدبرنا القرآن لما صدقنا الشائعات والأخبار الكاذبة التي يروجها إعلام العدو ليكسر بها نفوس المؤمنين وليصيبهم بالخذلان والذل والهزيمة النفسية، ليكون ذلك توطئة للهزيمة العسكرية.

النهى عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان، أم سوى ذلك فيحجم عنه.

وأوصي في هذه الخاتمة بما يأتي:

- محاربة الفساد علانية وهذا ما فعلته مملكتنا في نزاهة وديوان المراقبة ومكافحة الفساد وغيرها.
- لفت الأنظار إلى ضرورة تحليل الأخبار والأقوال قبل تصديقها ونشرها.
- توجيه الإعلام وتطويره، واستحداث أجهزة في منظومته؛ تُعنى بالدفاع عن القضايا التي تمم الأمة، وتظهر محاسن الدين.
- ضرورة الاحتكام لشرع الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.



المصادر والمراجع:

- الآداب، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المنذوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط [الأولى]، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الأدب المفرد مخرجا، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط [٣]، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)
- التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد -، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج [٣٠].
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، ط [الأولى]، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط [١] ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.



- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، ج [١٢].
- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط [الأولى]، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج [٥]
- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط [الثالثة] - ١٤١٩ هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط [الأولى]، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ج [١٠]
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط [الأولى]، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- تفسير النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن



- عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- تفسير غريب ما في الصحيحين، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط[الأولى]، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط[الأولى]، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط[الأولى]، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط[الأولى]، ١٩٨٧م.
 - الحرب النفسية والشائعات، معتز سيد عبد الله، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
 - الحكمة، ناصر بن سليمان العمر، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، بترقيم الشاملة.
 - الدعاية والشائعات والرأي العام، عبد الرزاق الدليمي، الناشر: اليازوري
 - الشائعات في عصر المعلومات، مطبوعات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض.
 - الشائعات وطرق مواجهتها، محمد حجاب، مكتبة دار الفجر الإسلامية، ٢٠٠٧م.
 - شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، شرح:



عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط [الرابعة]، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

• صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط [الأولى]، ١٤٢٢ هـ.

• صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

• علم النفس والشائعات، محمود السيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

• فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعه وقدّم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج [١٥].

• فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط [الأولى]، ١٤١٤ هـ.

• الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.



- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، ط [الثالثة]، ١٤١٤هـ، ج [١٥]
- مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج [٩٥].
- مجلة الرسالة، أصدرها: أحمد حسن الزيات باشا (ت: ١٣٨٨هـ)، عدد الأعداد: ١٠٢٥ عددا (على مدار ٢١ عاما).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط [الأولى]، ١٤٢٢هـ.
- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط [الأولى]، ١٤١١ - ١٩٩٠، ج [٤].
- معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط [الأولى].
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسنين، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط [الأولى]، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج [٥].
- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط [الأولى]، ١٤٠٩هـ.



- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج[٦].
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط[الثالثة]، ١٤٢٠هـ.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، أعدّه للشاملة/ عويسيان التميمي البصري، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط[الأولى] - ١٩٩٦م، ج[٢].
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - '، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط[الرابعة]، ج[١٢].
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط[الأولى]، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج[١٣].
- وكالة واس للأبناء السعودية: <http://www.spa.gov.sa>.

